

حييتي تنهض من نومها

١٩٧٠

Akhavnia

حبيبتى تنهض من نومها

حبيبتى تنهض من نومها
طفولتي تأخذ، في كفها،
زينتها من كل شيء..

و لا _

تنمو مع الريح سوى الذاكرة
لو أحصت الغيم الذي كدسوا
على إطار الصورة الفاترة
لكان أسبوعا من الكبرياء
و كل عام قبله ساقط
و مستعار من إناء المساء..
يوم تدرجت على كل باب
مستسلما للعالم المشغول
أصابعي ترفر: لا تقذفوا
فئات يومي للطريق الطويل
بطاقة التشريد في قبضتي
زيتونة سوداء،
و هذا الوطن
مقصلة أعبد سكينها
إن تذبحوني، لا يقول الزمن
رأيكم!

و كالة الغوث لا

تسأل عن تاريخ موتي، و لا

تغير الغابة زيتونها،

لا تسقط الأشهر تشرينها!

طفولتي تأخذ في كفها،

زينتها من أي يوم

و لا _

تنمو مع الريح سوى الذاكرة

و إنني أذكر مراتها

في أول الأيام، حين اكتسى

جبينها البرق، لكنني

أضطهد الذكرى، لأن المسا

يضطهد القلب على بابه..

أصابعي أهديتها كلها

إلى شعاع ضاع في نومها

و عندما تخرج من حلمها

حبيبتني أعرف درب النهار

أشق درب النهار.

كلّ نساء اللغة الصافية

حبيبتني..

حين يجيء الربيع

الورد منفيّ على صدرها
من كل حوض، حالما بالرجوع
و لم أزل في جسمها ضائعا
كنكهة الأرض التي لا تضيع
كل نساء اللغة دامية

حبيبتى..

أقمارها في السماء
و الورد محروق على صدرها
يشهوه الموت، لأن المساء
عصفورة في معطف الفاتحين
و لم أزل في ذهنها غائبا
يحضرها في كل موت وحين..
كل نساء اللغة النائمة

حبيبتى

تحلم أنّ النهار
على رصيف الليلة الآتية
يشرب ظل الليل و الانكسار
من شرف الجندي و الزانية
تحلم أنّ المارد المستعار
من نومنا، أكذوبة فانية
و أنّ زنزانتنا، لا جدار

لها، و أن الحلم طين و نار

كل نساء اللغة الضائعة

حبييتي..

فتشت عتها العيون

فلم أجدها.

لم أجد في الشجر

خضرتها..

فتشت عنها السجون

فلم أجد إلا فتات القمر

فتشت جلدي..

لم أجد نبضها

و لم أجدها في هدير السكون

و لم أجدها في لغات البشر

حبيبة كل الزنابق و المفردات

لماذا تموتين قبلي

بعيدا عن الموت و الذكريات

و عن دار أهلي؟..

لماذا تموتين قبل طلاق النهار

من الليل..

قبل سقوط الجدار

لماذا؟

لكل مناسبة لفظة..

و لكن موتك كان مفاجأة للكلام

و كان مكافأة للمنافي

و جائزة للظلام

فمن أين اكتشف اللفظة اللائقة

بزنبقة الصاعقة؟

سأستحلف الشمس أن تترجل

لتشربني عن كذب..

و تفتح أسرارها..

سأستحلف الليل أن يتنصل

من الخنجر الملتهب

و يكشف أوراقه للمغني

تفاصيل تلك الدقائق

كانت..

عناوين موت معاد

و أسماء تلك الشوارع

كانت..

و صايا نبي يباد

و لكنني جئت من طرف السنة الماضية

على قنطرة

ألا تفتحين شبابيك يوم جديد

بعيد عن المقبرة؟!...!
لأبطالنا، أنشد المنشدون
و كانوا حجارة
و كانوا يريدون أن يرصفوا
بلاطا لساحاتنا
وصمتا، لأن السكوت طهارة
إذا ازدحم المنشدون
و يبدو لنا حين نطرق باب الحبيب
بأن الجدار وتر
و يبدو لنا أنه لن يغيب
سوى ليلة الموت، عثا
ولكننا ننتظر
ألا تقفز من الأبدية
إلينا، ألا تقفزين؟
فبعد ليالي المطر
ستشرع أمتنا في البكاء
على بطل القادسية!
أسل دقات قلبك فوق الجفون
و أعصب بالريح حلقي
إذا كثر النائمون..
و من ليل كل السجون

أصبح:

أعيدوا لنا بيتها

أعيدوا لنا صمتها

أعيدوا لنا موتها..

عيناك، يا معبودتي، هجرة

بين ليالي المجد و الانكسار.

شرّدتني رمشك في لحظة

ثم عادني لاكتشاف النهار.

عشرون سكيناً على رقبتني

و لم تزل حقيقتي تائهة

و جئت يا معبودتي

كلّ حلم

يسألني عن عودة الآلهة

_ ترى! رأيت الشمس

في ذات يوم؟

_ رأيتها ذابلة.. تافهة

في عربات السبي كنا، و لم

تمطر علينا الشمس إلا النعاس

كان حبيبي طيباً، عندما

ودعني..

كانت أغانيها حواس.

عيناك، يا معبودتي، منفي

نفيت أحلامي و أعيادي

حين التقينا فيهما!

من يشتري تاريخ أجدادي ؟

من يشتري نار الجروح التي

تصهر أصفادي؟

من يشتري الحب الذي بيننا؟

من يشتري موعدنا الآتي؟

من يشتري صوتي و مرآتي ؟

من يشتري تاريخ أجدادي

بيوم حرية؟..

_معبودتي! ماذا يقول الصدى

ماذا تقول الريح للوادي؟

_كن طيباً،

كن مشرقاً طالردى

و كن جديراً بالجناح الذي

يحمل أولادي..

ما لون عينيها؟

يقول المساء:

أخضر مرتاح

على خريف غامض.. كالغناء

و الرمش مفتاح
لما يريد القلب أن يسمعه.
كانت أغانيها سجالا هناك
على جدار النار و الزوبعة
_هل التقينا في جميع الفصول؟
_كنا صغيرين. و كان الذبول
سيّدنا
_هل نحن عشب الحقول
أم نحن وجهان على الأمس؟
_الشمس كانت تحسّي ظلنا
و لم تغادر قبضة الشمس
_كيف اعترفنا بالصليب الذي
يحملنا في ساحة النور؟
_لم نتكلم
نحن لم نعترف
إلا بألفاظ المسامير...!
عيناك، يا معبودتي ،عودة
من موتنا الضائع تحت الحصار
كأنني ألقاك هذا المساء
للمرة الأولى..
و ما بيننا

إلا بدايات، و نهر الدماء

كأنه لم يغسل الجيلا.

أسطورتني تسقط من قبضتي

حجارة تخذش وجه الموت

و الزنبق اليباس في جبهتي

يعرف جو البيت..

_من يرقص الليلة في المهرجان

_أطفالنا الآتون

_من يذكر النسيان؟

_أطفالنا آتون

_من يصفّر الأحزان

إكليل ورد في جبين الزمان؟

_أطفالنا الآتون

_من يضع السكر في الألوان؟

_أطفالنا الآتون

_و نحن يا معبودتي ،

أي دور

نأخذه في فرحة المهرجان ؟

_نموت مسرورين

في ضوء موسيقي

أطفالنا الآتين..!

أنا آت إلى ظل عينيك

أنا آت إلى ظل عينيك .. آت
من خيام الزمان البعيد، و من لمعان السلاسل
أنت كل النساء اللواتي
مات أزواجهن، و كل الثواكل

أنت

أنت العيون التي فرّ منها الصباح

حين صارت أغاني البلابل

ورقا يابسا في مهب الرياح!

أنا آت إلى ظلّ عينيك .. آت

من جلود تحاك السجاجيد منها.. و من حدقات

علقت فوق جيد الأميرة عقدا.

أنت بيتي و منفاي.. أنت

أنت أرضي التي دمّرتني

أنت أرضي التي حولتني سماء..

و أنت

كل ما قيل عنك ارتجال و كذبه١

لست سمراء،

لست غزالا،

و لست الندى و النبيذ،

و لست

كوكبا طالعا من كتاب الأغاني القديمة

عندما ارتجّ صوت المغنين.. كنت

لغة الدم حين تصوير الشوارع غابه

و تصوير العيون زجاجا

و يصير الحنين جريمة

لا تموتي على شرفات الكآبه

كلّ لون على شفّتك احتفال

بالليالي التي انصرفت.. بالنهار الذي سوف يأتي

اجعلي رقبتك عتبات التحول،

أول سطر بسفر الجبال

الجبال التي أصبحت سلما نحو موتي!

و السيط التي احترقت فوق ظهري و ظهرك

سوف تبقى سؤال

أين سمسار كل المنابر؟

أين الذي كان.. كان يلوك حجارة قبيري و قبرك

ما الذي يجعل الكلمات عرايا؟

ما الذي يجعل الريح شوكا، و فحم الليالي مرايا؟

ما الذي ينزع الجلد عني، و يثقب عظمي؟

ما الذي يجعل القلب مثل القذيفه؟

وضلوع المغنين سارية للبيارق؟

ما الذي يفرش النار تحت سرير الخليفة؟

ما الذي يجعل يجعل الشفتين صواعق؟

غير حزن المصنف حين يرى

أخته.. أمه.. حبه

لعبة بين أيدي الجنود

و بين سماسرة الخطب الحامية

فيعض القيود. و يأتي

إلى الموت.. يأتي

إلى ظل عينيك.. يأتي!

أنا آت إلى ظل عينيك آت

من كتاب الكلام المحنط فوق الشفاه المعاده

أكلت فرسي، في الطريق، جراده

مزقت جبهتي، في الطريق، سحابه

صلبتني على الطريق ذبابة!

فاغفري لي..

كل هذا الهوان، اغفري لي

انتمائي إلى هامش يحترق!

و اغفري لي قرابه

ربطتني بزوبعة في كؤوس الورق

و اجعليني شهيد الدفاع

عن العشب

و الحب

و السخرية

عن غبار الشوارع أو غبار الشجر

عن عيون النساء جميع النساء

و عن حركات الحجر.

و اجعليني أحب الصليب الذي لا يحب

واجعليني بريقا صغيرا بعينيك

حين ينام اللهب ١

أنا أت إلى ظل عينيك.. أت

مثل نسر يبيعون ريش جناحه

و يبيعون نار جراحه

بقناع. و باعوا الوطن

بعضا يكسرون بها كلمات المغني

و قالوا: اذبحوا و اذبحوا..

ثم قالوا هي الحرب كر وفر

ثم فروا..

وفروا

وفروا..

و تباهاوا.. تباهاوا..

أوسعوهم هجاء وشتما، و أودوا بكل الوطن!

حين كانت يداي السياج، و كنت حديقته

لعبوا الترد تحت ظلال النعاس

حين كانت سياط جهنم تشرب جلدي

شربوا الخمر نخب انتصار الكراسي!..

حين مرت طوابير فرسانهم في المرايا

ساومونا على بيت شعر، و قالوا:

ألهبوا الخيل كل السبايا

أقبلت أقبلت من خيام المنافي

كذبوا لم يكن جرحنا غير منبر

للذي باعة.. باع حطين.. باع السيوف ليبي منبر

نحو مجد الكراسي!

أنا أت إلى ظل عينيك.. أت

من غبار الأكاذيب.. أت

من قشور الأساطير أت

أنت لي.. أنت حزني و أنت الفرح

أنت جرحي و قوس قزح

أنت قيدي و حريتي

أنت طيني و أسطوري

أنت لي.. أنت ل..ي بجراحك

كل جرح حقيقة!

أنت لي.. أنت لي.. بنواحك

كل صوت حقيقه

أنت شمسي التي تنطفئ

أنت ليلي الذي يشتعل
أنت موتي ،و أنت حياتي
و سأتي إلى ظل عينيك.. آت
وردة أزهرت في شفاة الصواعق
قبلة أينعت في دخان الحرائق
فاذكريني ..إذا ما رسمت القمر
فوق وجهي ،و فوق جذوع الشجر
مثلما تذكرين المطر
و كما تذكرين الحصى و الحديقة
و اذكريني ،

كما تذكرين العناوين في فهرس الشهداء
أنا صادقت أحذية الصبية الضعفاء
أنا قاومت كل عروش القياصرة الأقوياء
لم أبع مهرتي في مزاد الشعار المساوم
لم أذق خبز نائم

لم أساوم
لم أذق الطبول لعرس الجماجم
و أنا ضائع فيك بين المراثي و بين الملاحم
بين شمسي و بين الدم المستباح
جئت عينيك حين تجمد ظلي
و الأغاني اشتهت قائلها..!

كتابة على ضوء بندقية

شولميت انتظرت صاحبها في مدخل البار ،

من الناحية الأخرى يمر العاشقون،

و نجوم السينما يبتسمون.

ألف إعلان يقول:

نحن لن نخرج من خارطة الأجداد ،

لن نترك شبرا واحدا للاجئين

شولميت انكسرت في ساعة الحائط ،

عشرون دقيقة

وقفت، و انتظرت صاحبها

في مدخل البار، و ما جاء إليها.

قال في مكتوبه أمس:

"لقد أحرزت، يا شولا و ساما و إجازة

إحجزي مقعدنا السابق في البار

أنا عطشان يا شولا، لكأس وشفه

قد تنازلت عن الموت الذي يورثني المجد

لكي أحبو كطفل فوق رمل الأرصفة

و لكي أرقص في البار."

من الناحية الأخرى ،

يمر الأصدقاء

عرفوا شولا على شاطيء عكا

قبل عامين ،و كانوا

يأكلون الذرة الصفراء..

كانوا مسرعين

كعصافير المساء..

شولميت انكسرت في ساعة الحائط، خمسين دقيقة

وقفت ،و انتظرت صاحبها

شولميت استنشقت رائحة الخروب من بدلته

كان يأتي، آخر الأسبوع كالطفل إليها

يتباهى بمدى الشوق الذي يحمله

قال لها: صحراء سيناء أضافت سببا

يجعله يسقط كالعصفور في بلور نهديها

وقال:

ليتني أمتد كالشمس و كالرمل على جسمك ،

نصفي قاتل و النصف مقتول،

وزهر البرتقال

جيد في البيت و النزهة، و العيد الذي أطلبه

من فخذك الشائع في لحمي.. مميت

في ميادين القتال..!

و أحسست كفه تفترس الخصر

فصاحت: لست في الجبهة..

قال:

مهنتي!

قالت له: لكنني صاحبك

قال: من يحترف القتل هناك

يقتل الحب هنا.

وارتمي في حضنها اللاهث موسيقي،

و غيَّ لغيوم فوق أشجار أريحا..

يا أريحا! أنت في الحلم وفي اليقظة ضدّان،

و في الحلم و في اليقظة حاربت هناك

و أنا بينهما مزّقت توراتي

و عذبت المسيح..

يا أريحا! أوقفي شمسك. إنا قادمون

نوقف الريح على حد السكاكين،

إذا شئنا، و ندعوك إلى مائدة القائد،

إنا قادمون..

و أحسّت يده تشرب كفيها. و قال

عندما كان الندى يغسل وجهين بعيدين

عن الضوء: أنا المقتول و القاتل

لكنّ الجريدة

و طقوس الاحتفال

تقتضي أن أسجن الكذبة في الصدر،

و في عينيك، يا شول، و أن أمسح رشّاشي

بمسحوق عقيدة!

أغمضي عينيك لن أقوى على رؤية

عشرين ضحية

فيهما، تستيقظ الآن، و قد كنت بعيدة

لم أفكر بك.. لم أخجل من الصمت الذي

يولد في ظل العيون العسلية.

و أصول الحرب لن تسمح أن أعشق

إلا البندقية..!

سألته شولميت:

و متى نخرج من هذا الحصار؟

قال، و الغيمة في حنجرته:

أي أنواع الحصار؟

فأجاب: في صباح الغد تمضي.

و أنا أشرح للجيران أن الوهلة الأولى

خداع للبصر..

نحن لا ندفع هذا العرق الأحمر..

هذا الدم لا ندفعه.

من أجل أن يزداد هذا الوطن الضاري حبر

قال: إن الوقت مجنون.

و لم يلتئم الليلة جسمانا

دعيني.

أذب الآن بجسم الكستنا و الياسمين

أنت_ يا سيدي_ فاكهتي الأولى.

و ناما..

و بكى في فرح الجسمي.ن في عيد عما لون القمر

شولميت استسلمت للذكريات

كل رواد المقاهي و الملاهي شبعوا رقصا

و في الناحية الأخرى، تدوخ الفتيات

بين أحضان الشباب المتعبي.ن

و على لائحة الإعلان يحتد وزير الأمن:

لن نرجع شبرا واحدا للاجئين..

و الفدائيون مجتثون، منذ الآن

لن يخمش جنديّ و من مات

على تربة هذا الوطن العالي

له الرحمة و المجد.. ورايات الوطن!

شولميت اكتشفت أنّ أغاني الحرب

لا توصل القلب و النجوى إلى صاحبها

نحن في المذيع أبطال

و في التابوت أطفال

و في البيت صور..

_ليتهم لم يكتبوا أسماءنا

في الصفحة الأولى،

فلن يولد حي من خبر..

_وعدوا موتك بالخلد بتمثال رخام

وعدوا موتك بالمجد و لكن رجال الجنرال

سوف ينسونك في كل رخام

و سينسونك في كل احتفال..

شولميت اكتشفت أن أغاني الحرب

لا توصل صمت القلب و النجوى إلى صاحبها

فجأة عادت بها الذكرى

إلى لذتها الأولى، إلى دنيا غريبة

صدقته ما قال محمود لها قبل سنين

_كان محمود صديقا طيب القلب

خجولا كان، لا يطلب منها

غير أن تفهم أن اللاجئين

أمة تشعر بالبرد ،

و بالشوق إلى أرض سليية

و حبيبا صار فيما بعد،

لكن الشبابيك التي يفتحها

في آخر الليل.. رهية

كان لا يغضبها، لكنه كان يقول

كلمات توقع المنطق في الفخ،

إذا سرّت إلى آخرها

ضقت ذرعا بالأساطير التي تعبدها
و تمزقت، حياء، من نواطير الحقول..
صدقّت ما قال محمود لها قبل سنين
عندما عانقها، في المرة الأولى، بكت
من لذة الحب.. و من جيرانها

كل قومياتنا قشرة موز،
فكرت يوما على ساعده،
و أتى سيمون يحميها من الحب القديم
و من الكفر بقوميتها.
كان محمود سجيناً يومها
كانت "الرملة" فردوساً له.. كانت جحيم..
كانت الرقصة تغريها بأن تهلك في الإيقاع.
أن تتعس فيما بعد في صدر رحيم
سكر الإيقاع. كانت وحدها في البار
لا يعرفها إلا الندم.
و أتى سيمون يدعوها إلى الرقص

فلّبت

كان جندياً وسيم
كان يحميها من الوحدة في البار،
و يحميها من الحب القديم
و من الكفر بقوميتها..

شولميت انتظرت صاحبها في مدخل البار القديم

شولميت انكسرت في ساعة الحائط ساعات..

و ضاعت في شريط الأزمنة

شولميت انتظرت سيمون_ لا بأس إذن

فليأت محمود.. أنا أنتظر الليلة عشرين سنة

كل أزهارك كانت دعوة للانتظار

ويداك الآن تلتفان حولي

مثل نهريين من الحنطة و الشوك.

و عيناك حصار

و أنا أمتد من مدخل هذا البار

حتى علم الدولة، حقلا من شفاء دموية

أين سيمون و محمود؟

من الناحية الأخرى

زهور حجرية.

و يمر الحارس الليلي.

و الإسفلت ليل آخر

يشرب أضواء المصابيح،

و لا تلمع إلا بندقيّة..

يوميات جرح فلسطيني (إلى فدوى طوقان)

-1-

نحن في حلّ من التذكار
فالكرمل فينا
و على أهدابنا عشب الجليل
لا تقولي: ليتنا نركض كالنهر إليها،
لا تقولي!
نحن في لحم بلادي.. و هي فينا!

-2-

لم نكن قبل حزيران كأفراح الحمام
ولذا، لم يتفتّت حبنا بين السلاسل
نحن يا أختاه، من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً،
و لكن نقاتل

-3-

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطان إله
جاء من شهر حزيران
لكي يصبغ بالشمس الجباه
إنه لون شهيد
إنه طعم صلاة

إنه يقتل أو يحيي

و في الحالين!آه!

-4-

أول الليل على عينيك ،كان

في فؤادي، قطرة قطرة من آخر الليل الطويل

و الذي يجمعنا، الساعة، في هذا المكان

شارع العودة

من عصر الذبول.

-5-

صوتك الليلة،

سكين وجرح و ضماد

و نعاس جاء من صمت الضحايا

أين أهلي؟

خرجوا من خيمة المنفى، و عادوا

مرة أخرى سبايا!

-6-

كلمات الحب لم تصدأ،و لكن الحبيب

واقع في الأسر_ يا حبي الذي حملني

شرفات خلعتها الريح

أعتاب بيوت

وذنوب.

لم يسع قلبي سوى عينيك

في يوم من الأيام

و الآن اغتنى بالوطن!

-7-

و عرفنا ما الذي يجعل صوت القبرة

خنجرا يلمع في وجه الغزاة

و عرفنا ما الذي يجعل صمت المقبرة

مهرجانا.. و بساتين حياة!

-8-

عندما كنت تغنين رأيت الشرفات

تهجر الجدران

و الساحة تمتد إلى خصر الجبل

لم نكن نسمع موسيقى

و لا نبصر لون الكلمات

كان في الغرفة مليون بطل

-9-

في دمي من وجهه صيف

و نبض مستعار

عدت خجلان إلى البيت

فقد خر على جرحي شهيدا

كان مأوى ليلة الميلاد

كان الانتظار

و أنا أقطف من ذكراه عيدا

-10-

الندى و النار عيناها

إذا ارددت اقترابا منه غنى

و تبخرت على ساعده لحظة صمت و صلاة

آه سمييه كما شئت شهيدا

غادر الكوخ فتى

ثم أتى لما أتى

وجه إله

-11-

هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء

تعد الصيف بقمح و كواكب

فاعبديها

نحن في أحشائها ملح و ماء

و على أحضانها جرح يحارب

-12-

دمعتي في الحلق يا أخت

و في عيني نار

و تحررت من الشكوى على باب الخليفة

كل من ماتوا

و من سوف يموتون على باب النهار

عانقوني، صنعوا مني.. قذيفة!

-13-

منزل الأحباب مهجور.

و يافا ترجمت حتى النخاخ

و التي تبحث عني

لم تجد مني سوى جبهتها

أتركي لي كل هذا الموت، يا أخت

أتركي هذا الضياع

فأنا أصفره نجما على نكبتها

-14-

أه يا جرحي المكابر

وطني ليس حقيقه

و أنا لست مسافر

إنني العاشق، و الأرض حبيبته

-15-

و إذا استرسلت في الذكرى!

نما في جبهتي عشب الندم

و تحسرت على شيء بعيد

و إذا استسلمت للشوق،

تبينت أساطير العبيد

و أنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاه

و من الصخر نغم!

-16-

جبهتي لا تحمل الظل.

و ظلي لا أراه

و أنا أبصق في الجرح الذي

لا يشعل الليل جباه!

خبئي الدمعه للعيد

فلن نبكي سوى من فرح

و لنسم الموت في الساحة

عرسا.. و حياه!

-17-

و ترعرعت على الجرح، و ما قلت لأمي

ما الذي يجعلها في الليل خيمه

أنا ما ضيَّعت ينبوعي و عنواني و اسمي

و لذا أبصرت في أسمالها

مليون نجمه!

-18-

رايتي سوداء،

و الميناء تابوت

و ظهري قنطرة

يا خريف العالم المنهار فينا

يا ربيع العالم المولود فينا

زهرتي حمراء

و الميناء مفتوح،

و قلبي شجرة!

-19-

لغتي صوت خرير الماء

في نهر الزوابع

و مرايا الشمس و الحنطة

في ساحة حرب

ربما أخطأت في التعبير أحيانا

و لكن كنت لا أخجل رائع

عندما استبدلت بالقاموس قلبي!

-20-

كان لا بد من الأعداء

كي نعرف أنا توأمان!

كان لا بد من الريح

لكي نسكن جذع السنديان!

و لو أن السيد المصلوب لم يكبر على عرش الصليب

ظل طفلا ضائع الجرح.. جبان.

-21-

لك عندي كلمه
لم أقلها بعد،
فالظل على الشرفة يحتل القمر
و بلادي ملحمة
كنت فيها عازفا.. صرت وتر!

-22-

عالم الآثار مشغول بتحليل الحجارة
إنه يبحث عن عينية في ردم الأساطير
لكي يثبت أني:

عابر في الدرب لا عينين لي
لا حرف في سفر الحضارة!
و أنا أزرع أشجاري. على مهلي
و عن حبي أغني!

-23-

غيمة الصيف التي.. يحملها ظهر الهزيمة
علقت نسل السلاطين
على حبل السراب

و أنا المقتول و المولود في ليل الجريمة
ها أنا ازددت التصاقا.. بالتراب!

-24-

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل و آن

لي أن أثبت حبي للثرى و القبرة
فالعصا تفترس القيثارة في هذا الزمان
و أنا أصفر في المرآة
مذ لاحت ورائي شجرة

Akhavnia

الجسر

مشيا على الأقدام،

أو زحفا على الأيدي نعود

قالوا..

و كان الضخر يضممر

و المساء يدا تقود..

لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق

دم و، مصيدة، و بيد

كل القوافل قبلهم غاصت،

و كان النهر يبصق ضفّتيه

قطعا من اللحم المفتت،

في وجوه العائدين

كانوا ثلاثة عائدون:

شيخ، و ابنته، وجندي قديم

يقفون عند الجسر..

كان الجسر نعاسا، و كان الليل قُبّة

و بعد دقائق يصلون، هل في البيت ماء؟

و تحسس المفتاح ثم تلا من القرآن آيه(...

قال الشيخ منتعشا: و كم من منزل في الأرض

يألفه الفتي

قالت: و لكن المنازل يا أبي أطلال!

فأجاب: تبنيتها يدان..

و لم يتم حديثه، إذ صاح صوت في الطريق: تعالوا!

و تلتته طقطقة البنادق..

لن يمرّ العائدون

حرس الحدود مرابط

يحمي الحدود من الحنين

(أمر بإطلاق الرصاص على الذي يجتاز

هذا الجسر. هذا الجسر مقصلة الذي رفض

التسول تحت ظل وكالة الغوث الجديدة

و الموت بالمجان تحت الذل و الأمطار، من

يرفضه يقتل عند هذا الجس، هذا الجسر

مقصلة الذي ما زال يحلم بالوطن)

الطلقة الأولى أزاحت عن جبين الليل

قبعة الظلام

و الطلقة الأخرى..

أصاب قلب جندي قديم

و الشيخ يأخذ كف ابنته و يتلو

همسا من القرآن سورة

و بلهجة كالحلم قال:

_عينا حبيبتي الصغيرة،

لي، يا جود، ووجهها القمحي لي

لا تقتلوهـا، و اقتلوني

(كانت مياه النهر أغزر.. فالذين

رفضوا هناك الموت بالمجان أعطوا النهر لونا آخر).

و الجسر، حين يصير تمثالا، سيصبغـ دون

ريبـ بالظهيرة و الدماء و خضرة الموت

المفاجيء)

..و برغم أن القتل كالتدخين..

لكنّ الجنود "الطيبين".

الطالعين على فهارس دفتر..

قذفته أمعاء السنين.

لم يقتلوا الاثنين..

كان الشيخ يسقط في مياه النهر

و البنت التي صارت يتيمه

كانت ممزقة الثياب ،

وطار عطرك الياسمين

عن صدرها العاري الذي

ملأته رائحة الجريمة

و الصمت خيم مرة أخرى ،

و عاد النهر يبصق ضفتيه

قطعا من اللحم المفتت

..في وجوه العائدين

لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق

دم و مصيدة. و لم يعرف أحد

شيئا عن النهر الذي

يمتص لحم النازحين

(و الجسر يكبر كل يوم كالطريق،

و هجرة الدم في مياه النهر تتحت من حصى

الوادي تماثيلا لها لون النجوم، و لسعة الذكرى،

و طعم الحب حين يصبر أكبر من عبادة)

Akhavna

جواز سفر

لم يعرفوني في الظلال التي
تمتصّ لوني في جواز السفر
و كان جرحي عندهم معرضا
لسائح يعشق جمع الصور
لم يعرفوني، آه.. لا تتركي
كفي بلا شمس
لأن الشجر
يعرفني..
تعرفني كل أغاني المطر
لا تتركيني شاحبا كالقمر!
كلّ العصافير التي لاحقت
كفي على باب المطار البعيد
كل حقول القمح ،
كل السجون،
كل القبور البيض
كل الحدود ،
كل المناديل التي لوّحت ،
كل العيون
كانت معي، لكنهم
قد أسقطوها من جواز السفر

عار من الاسم من الانتماء؟

في تربة ربيتها باليدين ؟

أيوب صاح اليوم ملء السماء:

لا تجعلوني عبرة مرتين!

يا سادتي! يا سادتي الأنبياء

لا تسألوا الأشجار عن عن اسمها

لا تسألوا الوديان عن أمها

من جبهتي ينشق سيف الضياء

و من يدي ينبع ماء النهر

كل قلوب الناس ..جنسيتي

فلتسقطوا عني جوار السفر!

الرجل ذو الظل الأخضر

في ذكرى جمال عبد الناصر

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

و حين تموت

نحاول ألا نموت معك!

ولكن،

لماذا تموت بعيدا عن الماء

و النيل ملء يديم ؟

لماذا تموت بعيدا عن البرق

و البرق في شفتيك

و أنت وعدت القبائل

برحلة صيف من الجاهلية

و أنت وعدت السلاسل

بنار الزنود القوية

و أنت وعدت المقاتل

بمعركة.. ترجع القادسية

نرى صوتك الآن ملء الحناجر

زوابع..

تلو

زوابع

نرى صدرك الآن متراس ثائر

ولا فتة للشوارع

نراك

نراك

نراك..

طويلا

..كسنبلة في الصعيد

جميلا

..كمصنع صهر الحديد

وحرا

..كنافذة في قطار بعيد

و لست نبيأ،

و لكن ظلك أخضر

أتذكر ؟

كيف جعلت ملامح وجهي

و كيف جعلت جبينني

و كيف جعلت اغترابي و موتي

أخضر

أخضر

أخضر..

أتذكر وجهي القديم؟

لقد كان وجهي يحتّط في متحف انجليزي

و يسقط في الجامع الأمويّ

متى يا رفيقي؟

متى يا عزيزي؟

متى نشترى صيدلية

بجرح الحسين.. و مجد أميّة

و نبعث في سدّ أسوان خبزا و ماء

و مليون كيلواط من الكهرباء؟

أتذكر؟

كانت حضارتنا بدويا جميل

يحاول أن يدرس الكيماء

و يحلم تحت ظلال النخيل

بطائرة.. و بعشر نساء

و لست نبيا

و لكن ظلك أخضر..

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

و حين تموت

نحاول ألا نموت معك

ف فوق ضريحك ينبت قمح جديد

و ينزل ماء جديد

و أنت ترانا

نسير

نسير

نسير.

Akhavnia